



الفصل التاسع

في اتجاه برشلونة

السابع عشر من أيلول عام ٢٠٠٠م



الإسبانية (إسبانيا)	الإسبانية (الأرجنتين)	العربية
Arquero	portero	حارس مرمى
Colectivo	autobus	حافلة
Facture	bollo	فطائر دنماركية
Birome	bolígrafo	قلم حبر
Ojotas	chanclas de dedo	خُفّ (شيشب)
Departamento	piso	شقة
Pollera	falda	تنورة
Redonda	esférico	دائري
Remera	camiseta	قميص (تي شيرت)
sobretudo	abrigo	معطف

تعني كلمة (coger) باللغة الإسبانية يحضر، أو يمسك. أمّا عند الأرجنتيين فتعني أمرًا بذيئًا، والأفضل لنا ألا نذكره.





هيسي

يقولون: إنّ اللغة في إسبانيا والأرجنتين هي عينها؛ أي كاستيليان (castellano)؛ وهو اسم يدل على اللغة الإسبانية الفصيحة. ولكن، توجد فروق كبيرة بين اللغة المستخدمة في إسبانيا وتلك المستخدمة في الأرجنتين. ولا يقتصر الأمر على الاختلاف في معنى الكلمات والتعبيرات المستخدمة في اللغة العامية فحسب، بل يشمل اختلاف طرائق العيش، وفهم الحياة في بعض الحالات. وبوجه عام، تنحدر غالبية العائلات الأرجنتينية من أصول إسبانية أو إيطالية. أمّا الآن، وبعد نحو قرن من وصول آخر الأسلاف من شبه الجزيرة الأيبيرية والجزمة الإيطالية (دلالة على خريطة إيطاليا) ليصبح (gallego) [إسباني بالعامية] أو (tano) [إيطالي بالعامية]، فقد تغيّرت الأوضاع على نحو ملموس.

لقد أحدث الزمن هُوّة، أفضت إلى ظهور ثقافات متباينة جدًّا؛ حتى عدّ ابتعاد شخص ما عن نمط الحياة الذي كان يحياه في بلده، وعودته إلى موطنه الأصلي، إنجازًا عظيمًا.

مما لا شكّ فيه أنّ ذلك يُعدّ تحديًا صعبًا، فما بالك إذا كان الشخص المعني فتى بالكاد بلغ الثالثة عشرة من العمر! إنّ ترك عالم الطفولة، وبلدة المنشأ، والمدرسة، والأصدقاء، والفريق الذي تحبّ، وملاعب مالفيناس وبيلا فيستا، وجزءًا من العائلة؛ يتطلّب عزيمة كبيرة، خاصة إذا لم تكن هناك أيّ ضمانات للمستقبل.

يفادر ليو ميسي ووالده خورخي مدينة روزاريو في اتجاه برشلونة في السادس عشر من شهر أيلول عام 2000م.

لنعد إلى الوراء قليلًا؛ كي نتعرّف سبب صعود الأب وابنه طائفة الخطوط الأرجنتينية المتجهة عبر الأطلسي، وكيف قرّرا أن يُجرّبًا حظّهما في الأراضي الكاتالانية، وما يتوقّعانه في رحلتها تلك.



بلغ ليوسنّ الثالثة عشرة، وهو يُعدّ الآن معروفاً في مجال كرة القدم للفئات العمرية. وقد خصّصت بعض الصحف صفحاتين لإجراء مقابلات معه، فضلاً عن الإشارة إليه في أثناء لعبه في كثير من بطولات الدوري المغمورة. علماً بأنّه حصد الإعجاب في بوينوس آيرس بعد تجربة موفّقة مع نادي ريفر بلايت. قبل ذلك بسنتين، كان المدافع السابق لنادي نيولز وريفير؛ فايان باسوالدو قد عمل وكيلًا لليون أشهرًا عدّة، في محاولة منه لوضع الفتى على المسار الصحيح، إلى أن جاء الوقت، وأدركت عائلة ميسي أن لا ضرورة لأحد في تلك السنّ لوكيل يُمثّله. ولكن، في أحد الأيام من عام 2000م، جاء رجلان يُمثّلان شركة ماركا (شركة تُعنى ببيع اللاعبين وشرائهم، مقرّها الرئيس في روزاريو)، هما مارتن منتيرو وفايان سولديني، اللذان قدّما أنفسهما في بيت العائلة رقم 525، في استادو دي إزرايل.

لا يودّ خورخي؛ والد ليونيل، الحديث عن هذين الرجلين، لأنّهما - كما سيُظهر سير تسلسل الأحداث في القصة- لم يفعلوا شيئاً لمساعدة ابنه؛ حتى إنّهما سبّبا له كثيراً من المشكلات... وما زالت هناك قضايا عالقة وقضايا استئناف منظورة في كثير من المحاكم إلى يومنا هذا. لنُدع عنّا النزاع القضائي، ولنكمل القصة.

يريد منتيرو وسولديني تمثيل ليونيل؛ فهما مقتنعان أنّ بإمكان الفتى الصغير الحصول على مستقبل واعد مشرق مع أحد الأندية العريقة؛ سواء في إيطاليا أو إسبانيا، في الإنتر أو الميلان، أو ريال مدريد أو برشلونة. وقد أكّدا أنّ لهما علاقات وصدقات في أماكن مرموقة. ومع ذلك، فإنّ عائلة ميسي لا تنقاد بسهولة وراء الوعود الزائفة؛ إذ لن يكون هناك أيّ دفعات حتى يحظى الفتى بفرصة لتجربة حظّه في أوروبا.





هيسي

لم يبدُ الأمر مستحيلاً، لدى تذكُر ما استطاع لياندرودبريتيس الحصول عليه عندما تمكّن من السفر إلى أوروبا، والتدرّب مع فريق الشباب في نادي آي سي ميلان. كل ما يتعيّن عليهم فعله هو التأكّد من أنّ تلك العلاقات والصدقات ليست مجرد خدعة.

كان الرجلان صادقين؛ إذ اتصل منتيرو وسولديني في شهر آب من عام 2000م بهوريشيو جاغيولي، وهو أحد سكان روزاريو، ويعمل في مجال بيع العقارات وشرائها في برشلونة منذ سبعينيات القرن الماضي، ويعمل مع وكيل لاعبين يُدعى جوسيب ماريانغويلا، وهو المساهم رقم 2292 في نادي برشلونة، ومستشار التقلّات الخاص برئيس النادي آنذاك خوان غاسبارت، الذي كان قد رشّح نفسه لانتخابات رئاسة النادي التي أعقبت ذلك، لكنّه خسر أمام خوان لابورتا.

يتذكّر منغويلا ذلك قائلاً: «شاهدت تسجيلاً منزلياً للفتى، وكان هوريشيو ومارتن وفايان قد أكّدوا لي أنّه يستحق المشاهدة. لذا، اتصلت بتشارلي، الذي هو أحد الأصدقاء المقربين إليّ».

يضيف كارلوس ريكاساش، الملقب بتشارلي، الذي كان مديراً فنياً للفريق الأول لنادي برشلونة حينها، قائلاً: أخبرني عن فتى بارع جداً... مثل مارادونا. ظننته يتحدث عن فتى في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر. فوجئت حين عرفت سنّه. كان يتعيّن عليه أن يكون ظاهرة فعلاً إذا أراد أن يلفت انتباهنا. لم يكن من سياسة النادي أن يُوقّع أيّ عقود مع فتية من خارج كاتالونيا، فما بالك بفتى من خارج دول الاتحاد الأوروبي!

لقد أكّدوا لي أنّه حالة فريدة من نوعها. ومع أنّي أسافر كثيراً إلى أمريكا الجنوبية، فقد قرّرنا أن نجلبه إلى برشلونة ليتدرّب أسابيع عدّة؛





ليتسنى للمدريين في النادي مشاهدته على مهل. كان ذلك هو الحل الأمثل؛ إذ من الأفضل له ولنا القدوم إلى إسبانيا مع عائلته، بدلاً من ذهابنا نحن إلى الأرجنتين، واكتشاف أنه مريض، أو أنه لا يستطيع اللعب وقتئذٍ تحديداً، فلا يكون وجودنا هناك ذا فائدة.

وبناءً على ما تقدّم، سيصل ليونيل إلى عاصمة إقليم كاتالونيا في السابع عشر من شهر أيلول عام 2000م، بصحبة والده وفاييان سولديني، وسيكون هوريشيو جاغولي في استقبالهما بمطار إلبراتا؛ ليصطحبهم فيما بعد إلى فندق بلازا، الواقع في ساحة إسبانيا عند سفح تل مونتخويك، حيث سيلعب ليو مبارياته الأولى - بعد سنوات عدّة - مع الفريق الأول في الملعب الأولمبي الواقع هناك. يمكن مشاهدة المدينة من نوافذ الفندق. وفي حال جرت الأمور على ما يرام، وتمكّن ليو من الانضمام إلى صفوف البارسا، فإنّها ستصبح موطنه الجديد. سيكون هناك بيت ومال ووظيفة لوالده، وربما فريق لشقيقه الأكبر رودريغو.

وقد يبدو من غير المألوف أن تضع عائلة بأكملها الثقة بفتى في سنّ الثالثة عشرة. لكنّ سيليا وخورخي كانا قد فكّرا قبل الزواج في الهجرة إلى أستراليا؛ بغية الحصول على حياة جديدة في مكان جديد. لم يكن حالهما سيئاً، لكنّهما كانا على علم بأنّهما حقّقا أقصى ما يمكن تحقيقه تقريباً، وأنّه لم يكن بمقدورهما تحسين حياتهما في الأرجنتين على نحو أفضل ممّا هي عليه الآن. وفي واقع الأمر، فقد كانا يبحثان عن فرصة جديدة لأطفالهما، ولعلّ هذه الفرصة قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى منهما؛ فمن ناحية، يمكن لليو متابعة العلاج في برشلونة، ومن ناحية أخرى يمكنه تطوير مهاراته في نادٍ عريق يليق بالموهبة التي يمتلكها. لكنّ اتخاذ قرار مثل هذا أمر صعب. وقد سأل أفراد العائلة أنفسهم مراراً عن مدى صحة القرار الذي هم على وشك اتخاذه. لذا،





هيسي

تجمّع أفراد العائلة قبل المغادرة حول طاولة، وتساءلوا عمّا يودّون فعله، ثمّ توصلوا إلى أنّه إذا امتنع أحدهم عن السفر، فإنّ الجميع سيقفون في روزاريو.

حدّد موعد التجربة بعد ظهر يوم الإثنين الموافق للثامن عشر من شهر أيلول. وقد اعترت ليو حالة من الدهشة والذهول لدى رؤيته المرافق الرياضية؛ ما حفز بعضهم إلى التقاط صورة له عند إحدى بوابات ملعب مينيستادي (ملعب فريقي الرديف والشباب)، تمامًا كما تفعل جموع السيّاح التي تزور ملعب نوكامب كلّ يوم. بعدئذٍ، توجّه ليو إلى إحدى غرف الملابس لتغيير ثيابه، ثمّ الانضمام إلى فرق الفئات العمرية التي تتدرّب على الملعبين: رقم (2)، ورقم (3).

استمر ليو -على مدار أسبوع- في التدرّب، ولعب مباريات قصيرة مع فتية يماثلونه في العمر. وكان والده خورخي يتابع أداءه من المدرّجات بصمت، تمامًا كما كان يفعل في ملاعب روزاريو. لا يريد ليو أن يُخيّب أمل والده؛ فأحرز خمسة أهداف في مباراة واحدة، ناهيك عن سادس لم يحتسبه الحكم.

يُذكر أنّ خورخي وعد ليو باصطحابه لشراء بذلة رياضية في حال نجح في تسجيل ستة أهداف، وأنّ عليه الوفاء بذلك الوعد في نهاية المطاف.

يُجمّع المدرّبون كافة ممّن شاهدوه على مهارته الفائقة في اللعب، لكنّ القرار النهائي بيد ريكساش الموجود في النصف الآخر من الكرة الأرضية، في مدينة سيدني الأسترالية، حيث تجري الألعاب الأولمبية. وكان ريكساش قد ذهب هناك لمتابعة مباريات كرة القدم، التي أسفرت عن وصول إسبانيا والكاميرون إلى المباراة النهائية، التي فازت بها الأخيرة بركلات الجزاء الترجيحية؛ ما أدّى إلى تمديد مدة إقامة ليو في برشلونة حتى عودة شارلي في الثاني من شهر تشرين الأول.





وبدا، فقد بقيت مجريات الأمور مُبهمة وغير واضحة، وكان لزامًا الفصل فيها بأقرب وقت ممكن. وقد بدأ ذلك الأمر قريبًا؛ إذ ستقام مباراة بين فريق الطلبة الذين تتراوح أعمارهم من (14) إلى (15)، وفريق طلبة السنة الأولى على ملعب مينيسيتادي رقم (3)، يوم الثلاثاء الموافق للثاني من شهر تشرين الأول، الساعة الخامسة مساءً. وكان تشارلي يترقَّب هذه المباراة باهتمام؛ لمشاهدة كيف يبلي ليو في مواجهة فريق الفتية ممَّن يفوقونه سنًّا.

يتذكَّر ريكساش ذلك قائلاً: «كنت قد أنهيت تناول الطعام تَوًّا، ووصلت إلى الملعب بعد خمس دقائق من الموعد. كان الفريقان قد بدأ اللعب فعلاً. كان عليَّ الركض من حول الملعب للوصول إلى الدكَّة حيث يوجد المدربون.

وقد تطلَّب منِّي الأمر سبع أو ثماني دقائق للالتفاف. وحين وصلت الدكَّة كنت قد اتخذت قراري. قلت لريفه وميغويلي (مدرَّبِي فريق الشباب): «لنوقِّع معه العقد حالاً. لقد أذهلني هذا الفتى؛ فمع أنَّه لا يزال صبيًّا صغير الحجم، لكنه متميِّز، يملك ثقة عالية بالنفس، نشيط، سريع، ماهر، قادر على الاحتفاظ بالكرة في أثناء الركض بأقصى سرعة، مراوغ جيد لكلِّ مَنْ يعترضه.

لم أجد صعوبة في اكتشاف ذلك؛ فمواهبه التي يعرفها الجميع الآن، كانت أكثر وضوحًا حين كان في سنِّ الثالثة عشرة. هناك دائمًا لاعبو كرة قدم في حاجة إلى فريق يساندهم ليلمع نجمهم، لكنَّه ليس كذلك. وكنت دائمًا أجيِّب مَنْ يعزُّو إليَّ الفضل في اكتشافه بالقول: «لو أنَّ الذي رآه كان من سكان المريخ لعرف أنَّه متميِّز جدًّا».

وافق المدير، وحُسمت الصفقة. وبعد ذلك بيومين، يغادر ليو ووالده بالطائرة متوجَّهين إلى بوينوس آيرس تغمرهما فرحة عارمة. وكان تشارلي ريكساش قد أكَّد بوساطة طرف ثالث أنَّه سرعان ما ستُوجَّه إليهما دعوة للسفر إلى برشلونة مرَّة أُخرى؛ للانتهاء من تفاصيل العقد.





هيسي

لا يعرف خورخي تشارلي شخصياً - حتى يومنا هذا - الظروف والملايسات التي اكتنفت توقيع هذا العقد، لكنّه يعترف أنّ سبب لعب ابنه نادي برشلونة، هو عناد ذلك المدرّب.

انتهت المغامرة على الطرف الآخر من المحيط الأطلسي على نحوٍ طيب. لكنّ الأمور تصبح أكثر تعقيداً كلّما اقتربت من مراحلها النهائية؛ إذ لا يزال هناك كثير من العقبات لتخطّيها. يتذكّر ريكساش - المُلقّب بفتى بدراليس (أحد أحياء برشلونة)، وأحد رموز النادي - اليوم المشكلات جميعاً التي واجهها، في أثناء جلوسه معنا في مقهى فندق الأميرة صوفيا القريب من ملعب نو كامب.

«كانت أولى المشكلات أنّه أجنبي، والقوانين تمنع أيّ طفل أجنبي من اللعب في الدوري أو البطولات الوطنية. كان ذلك بالنسبة إلينا عائقاً كبيراً. وتمثّلت المشكلة الثانية في أنّه لا يزال طفلاً. فقد ينتهي به المطاف في نادٍ آخر؛ سواء كان ذلك خياره، أو من جرّاء الإصابة، أو العمر. أمّا المشكلة الثالثة فتعلّق بوالديه؛ فما الذي سيفعلانه؟ يتعيّن علينا إيجاد وظيفة لكلّ منهما في حال قرّرا الانتقال إلى إسبانيا.

وأخيراً، فالفتى يعاني مشكلة في النمو، ويحتاج إلى العلاج».

يشرح ريكساش كيف وازن بين السلبيات والإيجابيات، ليُقرّر بعدها - مع زملائه - أنّ عليهم المجازفة، وبأيّ ثمن، «وتوقيع العقد؛ لأنّه بارع جداً». ومع ذلك، لم يكن جميع منّ في النادي مقتنعين بالأمر. وقد جرت العادة على طرح كثير من الأسئلة ساعة اتخاذ القرار؛ فقد رأى بعضهم أنّ ليو صغير الحجم هزيل الجسد، وأنّه مجرد لاعب لافِت لا أكثر. وقد ردّ تشارلي على مثل تلك الآراء والاعتراضات بقوله: «أحضروا لي اللاعبين اللافِتَيْن الصغار كلّهم،





أريدهم جميعاً في فريقي». حتى رئيس النادي، خوان غاسبارت، طلب شرحاً وتفسيراً للموضوع؛ لمعرفة إذا كان الأمر يستحق العناية بصبي في الثالثة عشرة من العمر وعائلته.

يردّ تشارلي بالإيجاب، موضّحاً أنّ هذا الأمر يُعدّ مجازفة يتعيّن على النادي خوضها. يمرّ الوقت في هذه الأثناء، فينتهي شهر تشرين الأول، يتبعه تشرين الثاني من دون وصول القرار المنتظر.

سوف يتصل منغويلا بريكساش في الرابع من شهر كانون الأول، ويخطط للاجتماع به في مطعم بجمعية بومبي ريال للتنس في مونتخويك. وفي الموعد المحدّد، حضر هوريشيو جاغيولي - الذي كان يُمثّل عائلة ميسي حينها - الاجتماع أيضاً. يبدو أنّه الأكثر إصراراً، ويتذكّر أنّه قال: «لقد قطعنا شوطاً كبيراً يا تشارلي. إمّا أن تأخذه، وإمّا أن يذهب إلى مكان آخر...». ثمّ يضيف: «لم أكن أأخذه، فقد بدأنا حقاً مفاوضات مع ريال مدريد».

يقول ريكساش: «لم يثقوا بي ولا ببرشلونة. لقد أرادوا اتفاقاً مكتوباً، وإلّا فإنهم كانوا سيضعون حدّاً للمفاوضات. كنت مُصرّاً على ألاّ يفلت ذلك الصبي من يدي. لذا، تناولت منديلاً ورقياً، ثمّ كتبت شيئاً جعل النادي يوافق على توقيع العقد مع ليو ميسي في حال استُجيب لشروطه. ذُيّلت توقيعي على المنديل، ثمّ أعطيته إيّاه».

وكذا فعل كلُّ من منغويلا وجاغيولي أيضاً (حُفظ المنديل بعد ذلك، وأصبح بمنزلة قطعة أثرية)، وكان ذلك ميثاق شرف، لكنّه لم يكن كافياً؛ إذ توّد عائلة ميسي الحصول على بعض الضمانات قبل حزم حقائبها، ومغادرة برشلونة؛ بدءاً بدفع تكاليف السفر، وانتهاءً بتوفير منزل ووظيفة لخورخي الذي سيترك عمله في مؤسسة أسيندار للحاق بابنه وببقية أفراد العائلة.





ميسي

يعمل تشارلي ريكساش بجدّ لحلّ المشكلات العالقة، لكنّ الأمر ليس بالهيّن؛ إذ «لم نستطع مناقشة مسألة تقديم عقد في البداية؛ فقد كان طفلاً سيُلبع مع فرق الشباب. لكن، كان لزاماً علينا فعل ذلك، وهذا ما حدث فعلاً».

في الثامن من شهر كانون الثاني عام 2001م، جرى التوصل إلى اتفاق نهائي في مطعم آخر في برشلونة يُدعى فيا فينييتو. وفيه التقى خوان لاكويفا الذي كان حينها مدير الكرة في النادي مع منسّق أكاديمية الشباب خواكيم ريفه الذي يملك قدرة على استشراف المستقبل، ويودّ أن يبذل النادي جهداً لإغراء ميسي. طلب ريفه تقريراً من المتحمّس ريكساش، الذي كتب ببساطة «إنّ ميسي لاعب خارق». وبناءً عليه، كُتبت رسالتان إلى خورخي ميسي؛ إحداهما من تشارلي تؤكد الاتفاق الذي أبرم مع العائلة في برشلونة، والأخرى من لاكويفا تتعلق بالشروط المالية، ويشرح فيها التفاصيل الخاصة بالمنزل الذي سيُوجر لهم، والمدرسة، ومبلغ سبعة الملايين ببيزيتا (40,000 دولار تقريباً) التي سيحصل عليها الأب لقاء العمل في النادي، وهو مبلغ يساوي تقريباً ما يحصل عليه اللاعب عادة. ولكن، في مثل هذا الحال، سيكتفي اللاعب بمنحة دراسية. كانت الرسالة كافية لكي تحزم عائلة ميسي أمتعتها؛ إذ حطّت العائلة بأكملها الرّحال في مطار مقاطعة كاتالونيا، في الخامس عشر من شهر شباط عام 2001م، حيث كان شتاء برشلونة على أشده.

